الفصل السابع

الفتوحات الإسلامية في المناطق التي يسيطر عليها الروم

أ - في عهد النبي (ﷺ):

كانت مملكة الروم تحد البلاد العربية من الشمال، وكانت سواحل بلاد الشام ووسطها تتبع الإدارة الرومانية البيزنطية، أما الداخل ففيه قبائل عربية متاخمة للصحراء وهي بمثابة الدرع الذي يحمي الدولة البيزنطية من أي خطر فارسي مقابل مساعدات مالية، ومنها مملكة الغساسنة. فعندما بعث النبي (ﷺ)، أرسل كتابًا إلى ملك الروم البيزنطيّين (هرقل) يدعوه فيه إلى الإسلام، وأرسل كتابًا آخر إلى ملك الغساسنة جنوب شرق بلاد الشام (البلقاء) وهو (الحارث بن أبي شمر الغساني)، وكتب إلى عامل قيصر الروم على العرب يدعوه للإسلام، ففكر عامل القيصر بغزو العرب ردًّا على رسالة النبي محمدٍ (ﷺ)، لكن ملك الروم نهاه عن ذلك[1]

وفي السنة الثامنة للهجرة النبوية، جهز النبي (ﷺ) جيشًا ليسير إلى بلاد الشام بإمرة (زيد بن حارثة) الذي خاض غزوة مؤتة، وجمع له الروم فيها مائة ألف مقاتلٍ، واستشهد في هذه المعركة (زيد وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، رضي الله عنهم) واستلم خالد بن الوليد إمرة الجيش الإسلامي، ونجح في تأمين السلامة للمسلمين.

وفي السنة التاسعة للهجرة، جهز النبي (ﷺ) جيشًا آخر لغزو الروم، فوصل إلى تبوك، وأجبر سكانها على دفع الجزية، وعلى رأسهم صاحب (أيله) يوحنا بن رؤيهو صاحب (جرباء وأذرع) مما أغضب هرقل فأصدر أمرًا بقتل يوحنا وصلبه.

وفي السنة التي توفي فيها النبي (ﷺ)، كان قد جهز سرية تحت إمرة أسامة بن زيد بن الحارثة ليتجه به إلى (بني قضاعة) للثأر والقصاص منهم؛ بسبب شهداء المسلمين

(١) الطبري، ج٣ ص ٣٩٠ ابن خلدون، ج ٢ ص ٨٤ شكري فيصل، ص ٥٤

الذين سقطوا على أيديهم يوم مؤتة، لكن وفاة النبي (ﷺ) أجّلت خروج سرية أسامة لهذه المهمة، حتى استلم أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الخلافة.

ب - الفتوحات في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

سرية أسامة بن زيد:

أرسل أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) سرية أسامة بن زيد، كما كان النبي (ﷺ) يريد، فوصلت إلى (أبني) وهزمت حلفاء الروم من القبائل العربية (كقبيلة قضاعة)، وعاد منتصرًا ومحمّلًا بالغنائم، ثم عقد أبو بكر الألوية من (ذي القصة) وخصص لواءً لخالد بن سعيد بن العاص أرسله إلى مشارف الشام، وأمره أن يكون عونًا للمسلمين، وأن يعسكر في تيماء، وأن لا يغادرها إلا بأمرٍ منه، وأن لا يقاتل إلا من قاتله، وعندما علم هرقل بتحرك خالد بن سعيد جهز جيشًا لقتاله من العرب التابعين للروم كقبائل (بهراء، وسليح، وكلب، ولخم، وجذام، وغسان) لأنهم أدركوا أنه لا يفلّ الحديد إلا الحديد (فالعرب لهم عرب مثلهم) فتصدى لهم خالد بن سعيد، ولقيهم عند منازلهم بين (أيل، وزيزاء) وتمكن من هزيمتهم، وأرسل ببشائر النصر لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[1] فطلب أبو بكر من خالد أن يتابع تقدمه، وقال له: (أقدم، ولا تحجم، واستنصر الله)، فسار خالد حتى لقي بطريق الروم (ماهان) فهزمه، وطلب المدد من أبي بكر؛ ليتابع تقدمه نحو الشام، فكتب أبو بكر (رضي الله عنه) إلى عكرمة بن أبي جهل، وإلى الوليد بن عقبة، فانضموا لجيش المسلمين الذي كان يقوده خالد بن سعيد، ومعهم ذو الكلاع، ومن جاء من تهامة والبحرين، وأرسل إلى عمرو بن العاص كتابًا هذا نصه: (إني كنت رددتك إلى العمل الذي ولاك رسول الله (ﷺ) مرة، ووعدتك فيه أخرى إنجازًا لمواعيد رسول الله (ﷺ)، وقد وليته، وأحببت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة، إلا أن يكون الذي أنت فيه أحبَّ إليك). فردَّ عمرو بن العاص: (إني سهم من سهام الإسلام، وأنت - بعد الله - الرامي فيها والجامع لها، فانظر أشدها وأخشاها وأفضلها فارْمِ به شيئًا إن جاءك من ناحية من النواحي)[2] وكتب الوليد بن عقبة إلى أبي بكر ما يوضح رغبته في الجهاد، وبذلك اجتمع عند خالد بن سعيد

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٨٣ ابن خلدون، ج ٢ ص ٨٢ عبد الوهاب النجار، ص ٩٣

(٢) ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٧٦ الطبري، ج ٣ ص ٣٨٩ محمود شاكر، ص ٩٠

جيشٌ فيه عكرمة بن أبي جهل، والوليد بن عقبة، وذي الكلاع؛ مما شجّع أبا بكر على الاتجاه لفتح بلاد الشام.

كيف جهز أبو بكر الصديق جيوش المسلمين لفتح بلاد الشام؟

جهز أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أربعة جيوش لغزو بلاد الشام، والتي يسيطر عليها الروم البيزنطيون، وجعل على رأس كل جيش قائدًا إسلاميًّا من ذوي الكفاءات العالية، وهم:

- عمرو بن العاص، أرسله إلى فلسطين عن طريق أيلة.
- شرحبيل بن حسنة الذي قدم من العراق، فأرسله إلى الأردن عن طريق تبوك.
- يزيد بن أبي سفيان، فأرسله مع معاوية بن أبي سفيان إلى البلقاء (دمشق).
- أبو عبيدة عامر بن الجراح (أمين الأمة) فأرسله إلى حمص عن طريق الجابية، ومعه قرشيّان.

وقد بلغ عدد هذه الجيوش سبعة عشر ألفًا، فأوصى أبو بكر يزيدَ بن أبي سفيان، وباقي القادة، بما يلي:

" إياك وعيبة الجاهلية، فإن الله يبغضها ويبغض أهلها.. أصلح نفسك يصلح لك الناس.. وصلّ الصلاة لأوقاتها بإتمام ركوعها وسجودها والخشوع فيها، وإذا قدم عليك رسلُ عدوك فأكرمهم.. ولا تجعل سرك كعلانيتك فيختلط أمرك.. وإذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة، أكثر من حرسك وبددهم في عسكرك، فمن غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير إفراط.. واجتنب الغلول؛ فإنه يقرب الفقر، ويدفع النصر، وستجدون أقوامًا حبسوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما حبسوا أنفسهم له)[1]

ما قبل معركة اليرموك:

علم الروم بمسير جيوش المسلمين إلى بلاد الشام؛ فراسلوا إمبراطورهم هرقل، فجاء إلى إنطاكية، وفيها بدأ بإصدار تعليماته لجيوشه، وتدارس قادة الجيوش الإسلامية الأمر، وأرسلوا لأبي بكر طالبين منه المشورة والمساعدة، فأرسل لخالد بن الوليد ليحضر من العراق وينضم إليهم، وأرسل لهم برسالة قال فيها: "اجتمعوا فتكونوا عسكرًا واحدًا، وصدوا زحف المشركين بزحف المسلمين، فإنكم أعوان الله، والله ناصرُ من

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٧٦ الخضري بك، إتمام الوفاء، ص ٤٣

نصره وخاذل من كفره، ولن يأتي مثلكم من قلة، وإنما يأتي العشرة آلاف وزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا من تلقاء الذنوب، فاحترسوا من الذنوب، واجتمعوا في اليرموك متساندين، وليصلْ كلُّ رجل منكم بأصحابه"[1] علم هرقل بما يدبره المسلمون؛ فأمر قواده بالتوجه لليرموك بقيادة باهان[2]

مسير خالد بن الوليد إلى أجنادين واليرموك:

وتنفيذًا لأوامر الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)؛ سار خالد بن الوليد من الحيرة مع تسعة آلاف مجاهد؛ لمساعدة جيوش المسلمين المحاصرة لدمشق، وترك المثنى بن حارثة في الحيرة، وسلك طريقًا إلى اليرموك يجنبه الصدام بالحاميات الرومانية، ورغم ذلك كان يضطر أحيانًا للصدام معها. ومن (الحيرة) اتجه إلى قراقر، ثم إلى سوى، فمصيخ، وبهراء، ودومة الجندل، حتى وصل إلى أرك، وتدمر، والقريتين، ومنها إلى مرج راهط، وعندما وصل إلى بصرى الشام حاصرها مع قوات شرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان، وتمكن من إجبارها على الصلح ودفع الجزية، وتم ذلك في ٢٥ ربيع الأول عام ١٣/ هـ- ٣٠ من أيار عام ٦٣٤/ م. فكانت أول بلدة في بلاد الشام تخضع للمسلمين صلحًا في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)[3]

أرسل هرقل جيشًا مع قائده (وردان) تعداده ثلاثون ألفًا إلى حمص، لينطلق منها لفك الحصار عن دمشق، لكن (وردان) اتجه من حمص إلى بعلبك، ومنها إلى أجنادين، وليس إلى دمشق، وذلك لأنه اعتقد أن قوات عمرو بن العاص قليلة العدد وبعيدة عن باقي الجيوش الإسلامية التي تحاصر دمشق، ويمكنه أن يحقق نصرًا سهلًا يرفع به معنويات جيشه، ويضعف معنويات جيش المسلمين، وقد انضمت قواته إلى قوات الروم في أجنادين، والتي بلغت سبعين ألفًا؛ لأنها الحامية الرئيسية للروم في فلسطين، فأصبح جيش الروم أكثر من مائة ألف مقاتلٍ، يقودهم وردان، والقبقلار، وتذارق.

---

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٣ عبد الوهاب النجار، ص ٩٥ الخضري بك، ٤٤ د.فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٥ « اليرموك: نهر ينبع من سوريا ويصب بنهر الأردن»

(٢) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٣ عبد الوهاب النجار، ص ٩٧ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٦

(٣) الطبري، ج ٣ ص ٤١٦ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٦ شكري فيصل، ص ٤٩ د.فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٧

معركة أجنادين جمادى الأولى عام ١٣هـ:

علم خالد بمسير وردان إلى أجنادين؛ فتحرك مع شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وأبي عبيدة بن الجراح؛ لنجدة عمرو بن العاص، وأرسل له رسالة، قال له فيها:

(لقد نزلت في أجنادين، فالروم قوات غير ذي عدد ولا قوة، والله قاصمهم وقاطع دابرهم، وقد شخصت إليهم في اليوم الذي قدموا فيه، فإن قدموا عليكم؛ فانهضوا لهم في أحسن عدتكم وأكمل نيتكم).

وعندما وصل خالد بن الوليد أجنادين[1] اجتمع بقادة جيوش المسلمين، واتفقوا على خطة لإدارة المعركة ضد الروم، تولى خالد قيادة المعركة وتعداد الجيش الإسلامي ثلاثةٌ وثلاثون ألف مجاهدٍ، وسلم قلب المعركة لأبي عبيدة عامر بن الجراح، وسلم الميمنة إلى معاذ بن جبل الذي قال عنه النبي (ﷺ): (أعلم أمتي بالحلال والحرام)، أما الميسرة فسلمها لسعيد بن عامر ومعه سبعمائة مجاهدٍ.

وعلى الفرسان سعيد بن زيد، وهو من العشرة المبشرين بالجنة، وكانت النساء خلف جيش المسلمين لمداواة الجرحى وتأمين الطعام وإثارة الحماس والمشاركة في القتال عند الضرورة. وبعد أن تم توزيع المهام، قال خالد بن الوليد للمجاهدين: (اتقوا الله عباد الله، قاتلوا في سبيل الله من جاءوا ليقاتلوكم، وأقدموا إقدام الأسد فأنتم الأحرار.. لا يهولنكم ما ترونه من كثرتهم، فإن الله منزل عليهم رجسه وغضبه.. فإن رأيتموني حملت فاحملوا)، وخطب معاذ بن جبل قائلًا للمجاهدين: (يا معشر المسلمين، أشروا أنفسكم اليوم لله، فإنكم إن هزمتموهم اليوم صارت هذه البلاد بلاد الإسلام أبدًا) فمن يتمعَّن بما قاله خالد ومعاذ (رضي الله عنهما) يعرف أن الإيمان بالنصر والثقة بهزيمة الأعداء أكيدة؛ لأن الجميع متوكلٌ على من بيده مفاتيح النصر وأسبابه.

- أرسل القائد الروماني "وردان" أحد رجاله؛ ليندس في صفوف المسلمين؛ ليعرف مدى استعدادهم للمعركة، وأمره أن يظل بينهم يومًا وليلة، ففعل، وعندما

(١) أجنادين: بلدة على مفترق طرق جنوب غرب القدس بين الرملة وبيت جبرين.

عاد قال لوردان ولمن معه من القادة: (وجدتهم رهبانًا في الليل فرسانًا في النهار، ولو سرق ابنُ ملكهم لقطعوا يده، ولو زنا رجموه لإقامة الحق فيهم)، فقال القبقلار: (لأن كنت صدقتني لبطن الأرض خير من لقاء هؤلاء على ظهرها، ولوددت أن حظي من الله أن يخلي بيني وبينهم فلا ينصرني عليهم ولا ينصرهم علي)، وقد أسلم الجاسوس الفارسي بعد المعركة.

- هاجم الروم ميمنة جيش المسلمين، فصبر المسلمون لهجوم الروم، وكان ذلك في الصباح في شهر جمادى الأولى عام ١٣هـ- ٣٠ يوليو ٦٣٤/ م، وذلك بعد شهرين من فتح بصرى.

- اشتد هجوم الروم صباحًا، وأخذوا بإلقاء الرماح مما أجبر خالد بن الوليد على بدء المعركة التي كان ينوي أن يبدأها عند الظهر تطبيقًا لسنة النبي (ﷺ)، واشتبك مع القوات الرومانية اشتباكًا عنيفًا أجبرها على الفرار من أرض المعركة، فقيل: (فما صبر الرومان على المسلمين فواقًا) أي قليل من الوقت، وأصبح لا هم للرومان إلا النجاة، خاصة بعد أن قتل قادتهم في المعركة، وهم: وردان، والقبقلار، وتذارق[1] فاتجهت القوات الرومانية الهاربة من المعركة نحو القدس ودمشق وحمص وأنطاكية بعد أن قتل منهم ثلاثة آلاف، وقتل من المسلمين أربعة عشر مجاهدًا، كان منهم (إبان بن سعيد بن العاص) الذي تزوج ليلة المعركة و (خالد بن عمرو بن العاص) وشقيق عمرو (هشام بن العاص) (وعكرمة بن أبي جهل)[2]

- وقد اعتبرت معركةُ أجنادين من أكبر المعارك الإسلامية وأهمها في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، فأرسل خالد ببشائر النصر إلى الخليفة أبي بكر (رضي الله عنه).

(١) الطبري، ج٣ ص ٤١٧ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٦ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٧

(٢) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ٦٧ البداية والنهاية، ج ٦ ص ٣٤٢ تاريخ خليفة بن خياط، ص ٢٠

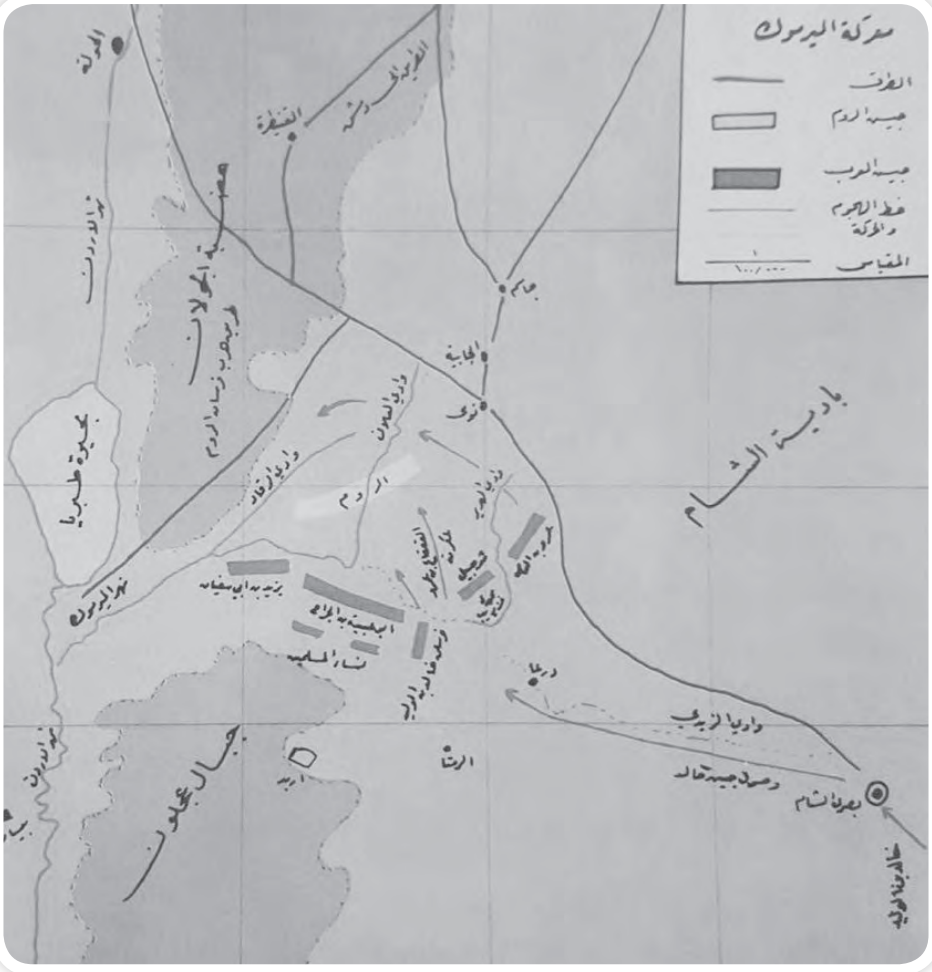

معركة اليرموك:

بعد انتهاء معركة أجنادين، توجه خالد بن الوليد إلى دمشق ولم يتجه إلى القدس، وذلك لحسابات وأسباب، منها:

١ - يوجد في دمشق أكبر قوة عسكرية للروم البيزنطيين بعد أجنادين.

٢ - لم تكن القدس عاصمة للروم آنذاك.

٣ - أسوار القدس عالية وحصينة، وسيخسر المسلمون الشهداء والوقت والجهد دون أن يحققوا نصرًا سريعًا مؤكدًا.

٤ - القدس عقر دار النصارى، وسقوطها بيد المسلمين سيثيرهم ويغضبهم من المسلمين خاصة نصارى بلاد الشام، وهذا ليس أوانه الآن.

٥ - علم خالد بن الوليد بتحرك قوات رومانية من أنطاكية أرسلها هرقل بقيادة باهان ملك أرمينية لفك الحصار عن دمشق، وكان معه عددٌ من أمراء الروس وملك الغساسنة (جبلة بن الأيهم الغساني) الذي كان يقود النصارى من العرب، وكانوا يركبون الخيول والجمال ومع الجيش مجموعة من القساوسة الذين ظلوا شهرًا يحرضون الجنود على القتال، كذلك الشمامسة والرهبان، وقد بلغ تعداد جيش الروم أكثر من مائتين وأربعين ألفَ مقاتلٍ، بينهم ثمانون ألفًا مقيدون بالسلاسل، وأربعون ألفًا مربوطون بالعمائم، وثمانون ألفًا من الفرسان، ومثلهم من الرَّجَّالة، وقد خندقت الفرق الرومانية شمال نهر اليرموك، بينما خندقت قوات المسلمين بقيادة خالد بن الوليد جنوب النهر، وكان تعدادها أربعين ألفَ مجاهدٍ. كالعادة، تدارس خالد بن الوليد خطة المعركة مع القادة المسلمين، واقترح عليهم تعبئة الجيش وتوزيعه على شكل كراديس، منهم عشرة آلاف من الفرسان، ووضع أبا عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة في القلب، وعمرو بن العاص في الميمنة، ويزيد بن أبي سفيان في الميسرة، وكان في كل لواء تسعُ سرايا على أساس قبلي وعشائري، بحيث يقاتل كل واحد بجانب أخيه المسلم وابن عشيرته أو قبيلته، وشكل فرقًا للاستطلاع على امتداد أحد عشر ميلًا، وكلف كلًّا من (قيس بن جبيرة، وأمير بن طفيل، وميسرة بن مرزوق) بقيادة فرق الخيالة الاحتياطية للتدخل عند الضرورة، وكان ضرار بن الأزور ينوب عن خالد في قيادة الوحدة المتنقلة الرئيسية في حال انشغال خالد في أمر آخر، وكانت النساء خلف الجيش الإسلامي لمهمة مداواة جرحى المسلمين وتأمين الطعام وإثارة الحماس في قلوب المجاهدين. وبعد أن انتهى خالد من ترتيباته العسكرية، خاطب جنوده قائلًا لهم:)هذا يوم من أيام الله، لا ينبغي فيه الفخر ولا البغي، أخلصوا جهادكم، وأرضوا الله بعملكم، فإن هذا اليوم له ما بعده، ولا تقاتلوا قومًا على نظام وتعيبوه وأنتم متساندون، فإن ذلك لا يحل ولا ينبغي، وإن مَن وراءكم لو يعلم عملكم حالَ بينكم وبين هذا، فاعملوا في ما لم تؤمروا به بالذي ترون أنه رأي من وليكم ومحبته)[1]

(١) الطبري، ج ٣ ص ٢٩٥ عبد الوهاب النجار، ص ٩٨ محمود شاكر، ص ٩٥

ثم تقدم أبو سفيان بن حرب وهو واعظ إسلامي، وقال: (الله.. الله، إنكم ذادة العرب وأنصار الإسلام، وإنهم ذادة الروم وأنصار الشرك، اللّٰهُمَّ إنَّ هذا يوم من أيامك، اللّٰهُمَّ أنزل نصرك على عبادك)[1]

بلغ عدد الكراديس ستة وثلاثين كردوسًا في كل كردوس (فرقة) ألف مجاهد، واستعد المسلمون للقتال، وقرؤوا سورة الأنفال (الجهاد)، وأمر خالد بن الوليد قادة الجيش (القعقاع بن عمرو، وشرحبيل بن حسنة) بالهجوم على الروم، فالتحم الفرسان من الطرفين.

أحداث المعركة

اليوم الأول:

اشتبك الطرفان، فنجح عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) في قتل خمسة من قادة الروم البيزنطيّين، مما جعل (ماهان) يأمر باستخدام النبال ضد المسلمين؛ مما سبب أذى كبيرًا لجنود المسلمين.

اليوم الثاني:

قرر ماهان شنَّ هجومٍ مفاجئ عند الفجر، لكن يقظة خالد بن الوليد وحكمته جعلته يضع نقاطَ مراقبة سرية أفشلت الهجوم المفاجئ لقوات الروم، وتمكن ضرار بن الأزور من قتل القائد الروماني (دريجان) رغم كثافة الحرس حوله.

اليوم الثالث:

بدأ هجوم الروم على لواء عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، فتراجع الاثنان إلى معسكرهم بسبب شدة ضربات الروم، وكثرة عددهم، فتدخل خالد بن الوليد بقواته المتحركة، وهاجم جيش ماهان، ونجح في صدهم عن لواء شرحبيل، وأجبرهم على التراجع إلى مواقعهم.

اليوم الرابع:

تراجع شرحبيل مرة ثانية أمام ضربات الروم الشديدة، لاسيما ضربات الخيالة العرب المسيحيّين الذين يقودهم (جبلة بن الأيهم)، وتراجع عمرو بن العاص أمام ضربات جيش الروم الذي يقوده (قناطر السلافي) فشارك أبو عبيدة ويزيد بن أبي سفيان

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٧ عبد الوهاب النجار، ص ٩٩ محمود شاكر، ص ٩٧

بالهجوم ضد القوات الرومانية؛ لإشغالهم عن الهجوم الشامل، ونجحا في إجبارهم على التراجع لمعسكرهم، فأخذوا يرمون جيش المسلمين بالنبال الدقيقة مما أدى لإصابات خطيرة في عيون بعض القادة المسلمين، منهم (أبو سفيان، والمغيرة بن شعبة، وهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، والأشعث بن قيس، وعمرو بن معد يكرب، وقيس بن مكشوح، والأشتر النخعى)، وقد سمي هذا اليوم بيوم (خسارة العيون). هكذا لاحت علامات الهزيمة على جيش المسلمين، لكن عكرمة بن أبي جهل طلب من المسلمين أن يقسموا (إمّا الشهادة أو النصر) فلبوا النداء، وأقسم أكثر من أربعمائة مجاهدٍ، وقاتلوا بكل جدارة وإيمان حتى تمكنوا من إيقاف زحف الروم، وقتلوا منهم ما يقارب عدد القتلى من المسلمين، وأصيب عكرمة وابنه عمرو إصابات بالغة أدت لاستشهاد الاثنين.[1]

اليوم الخامس:

طلب ماهان وقف القتال لمدة ثلاثة أيام، لكن خالد بن الوليد رفض ذلك، وقال لمبعوث الروم: (نحن مستعجلون لإنهاء عملنا هذا). وعرف خالد أن همة الروم القتالية قد ضعفت لذلك اتخذ خطة هجومية بدل خطته الدفاعية، بحيث يعزل فرق الفرسان الرومانية عن فرق المشاة، وبذلك يصبح المشاة دون حماية، ويسهل التغلب عليهم وهزيمتهم.

اليوم السادس:

بدأ يزيد بن أبي سفيان الهجوم من الميسرة، وأبو عبيدة بن الجراح من القلب على جبهتين، وهاجم خالد بن الوليد ميمنة جيش الروم بفرقة الخيالة المتحركة، وهاجم عمرو بن العاص ميسرة الروم ذات الأكثرية من السلاف الأشداء في القتال، ويقودهم (قناطر) الذي صمد لهجوم المسلمين، لكنه تراجع نحو القوات الأرمينية الرومانية التي كان يقودها ماهان، وذلك لأنه فقد الدعمَ من فرقة الخيالة الرومانية التي انشغلت بصد هجوم الفرسان المسلمين.

هاجم عمرو بن العاص قلبَ الجيش الروماني من جهة اليسار، مما جعل جيشهم يصاب باختلال في التوازن بسبب تراجع الجنود السلاف أمام هجوم عمرو بن العاص، وشدد شرحبيل - قائد الجهة اليمنى في جيش المسلمين - على قلب الجيش الروماني، وأوعز خالد بن الوليد للفرسان بترك القتال الرئيسي والعودة لعزل الخيالة البيزنطيين عن فرق

(١) مصطفى بدر، موسوعة التاريخ الإسلامي، ج ١ ص ٢٠٨

المشاة، وإجبارهم على الاتجاه شمالًا، فحاول القائد ماهان تجميع الخيالة خلف قلب جيشه، وذلك لهجوم معاكس ضد الفرسان المسلمين، ولكنه تأخر في هذا الإجراء؛ لأن الفرسان المسلمين كانوا الأسرع في الهجوم بقيادة خالد بن الوليد، مما أدى لهزيمة الخيالة البيزنطيّين، وإجبارهم على الفرار باتجاه الشمال كما كان مخططًا لهم من قبل المسلمين، وتم ذلك وسط رعب شديد، وفوضى عارمة بين صفوف الجيش الروماني الذي ترك المشاة وحدهم يواجهون مصيرهم، ومن بينهم قوات جبلة بن الأيهم التي اتجهت نحو دمشق بعد هذا النصر المبكر الذي حققته القوات الإسلامية، فتحول خالد بن الوليد لقتال نواة جيش الروم وهم من الأرمن الذين يقودهم ماهان، وهم من الأشداء الذين نجحوا في اختراق جيش المسلمين لولا فرقة الخيالة التي كان يقودها خالد بن الوليد وفرقة عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة، الذين طوقوا القوات الأرمينية، فلم يعد أمامها إلا الفرار فاتجهت نحو (وادي الرقاد) غربًا. وعندما وصلت إلى الممر الضيق عند النهر (عرضه ٥٠٠م) وجدوا خمسمائة فارسًا من فرسان المسلمين بقيادة ضرار بن الأزور بانتظارهم.

حسم المعركة

بدأ الحسم عندما اتجه القسم الأكبر من القوات الرومانية نحو جرف نهر اليرموك، وهذا أدى إلى اختلال التوازن في الجيش الروماني الذي لم يتمكن من تفادي الصدام بالقوات الإسلامية، ولم يتمكن من الصمود في وجهها أو هزيمتها، فسقط عدد كبير من القوات الرومانية قتلى في جرف نهر اليرموك، ومنهم من وقع أسيرًا. وقد بلغ عدد قتلى الجيش الروماني مائة وعشرين ألفًا، وتابع خالد بن الوليد فلولَ الهاربين من الجيش الروماني باتجاه دمشق ومعهم ماهان، فلما علم هرقل بما حلّ من هزيمة نكراء في جيشه أخلى سورية، وقال قوله المشهور: (عليك يا سورية السلام، ونعم البلد أنت للعدو، وداعًا يا دمشق لا لقاء بعده)[1]

واشتبك خالد مع الهاربين، ونجح أحد المجاهدين المسلمين في قتل ماهان، وأصيب من المسلمين في هذه المعركة ثلاثة آلاف مجاهدٍ بين شهيد وجريح. وفي أثناء المعركة، حمل البريدُ خبرَ وفاة الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) والأمر من الخليفة عمر بن الخطاب

(١) الطبري، ج ٣ ص ٣٩٩ ابن الأثير، ج ٢ ص ٢٨٣ شكري فيصل، ص ٤٣ محمود شاكر، ص ٩٨ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٩

بعزل خالد بن الوليد عن قيادة الجيش الإسلامي وتسليمها لأبي عبيدة عامر بن الجراح، وذلك في رجب عام ١٣ / هـ، لكن تسليم القيادة وتنفيذ أمر الخليفة الجديد تم بعد انتهاء المعركة؛ حتى لا يؤثر عزل خالد عن القيادة على معنويات الجنود المسلمين، ولا يسبب أي خلل. وقد سلم خالد القيادة لأبي عبيدة، وقال: (الحمد لله الذي قضى على أبي بكر بالموت، وكان أحب إليّ من عمر، والحمد لله الذي ولي عمر وكان أبغض إليّ من أبي بكر، ثم ألزمني حبه واحترامه)[١]

الولايات في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه):

قسمت الدولة الإسلامية في عهد الخليفة أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) إلى عدة أقسام إدارية؛ ليسهل إدارتها وضبطها، وسميت تلك الأقسام بالولايات، وهي:

١ - مكة المكرمة، واليها عتاب بن أسيد، وكان واليًا منذ عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

٢ - الطائف، واليها عثمان بن أبي الثقفي.

٣ - صنعاء، واليها المهاجر بن أبي أمية.

٤ - حضرموت، واليها زياد بن لبيد.

٥ - خولان في جبال اليمن الشرقية، وسميت بذلك نسبة لقبيلة خولان، وكان واليها يعلي بن أمية.

٦ - زبيد، واليها أبو موسى الأشعري.

٧ - نجران، واليها يزيد بن عبد المدان بن الديان من عهد النبي(صلى الله عليه وسلم)، وفيها قبائل عربية من بني الحارث بن كعب بن علة من مذحج وبني ذهل بن مزيقيا من الأزد، وكانت زعامتهم من بني الحارث بن كعب، وقد وفد أخوه حجر بن عبد المدان على النبي (صلى الله عليه وسلم) على يد خالد بن الوليد، وتولى نجران في عهد أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) جرير بن عبد الله البجلي.

٨ - البحرين، واليها العلاء بن الحضرمي.

٩ - جرش (مخلاف في اليمن)، واليها عبد الله بن ثور.

١٠ - دومة الجندل، واليها عياض بن غنم.

---

(١) الخضري بك، ج ١ ص ١٩٤ د. فايد عاشور، ومصلح أبو عزب، ص ٢٥٩

١١ - أمير جند العراق المثنى بن حارثة الشيباني، وكان مركزه الحيرة.

١٢ - أمير جند الشام خالد بن الوليد القرشي المخزومي.

وكان يقضي له عمر بن الخطاب وأمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، وكان يكتب له عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت، رضي الله عنهم أجمعين.

وقبل أن يتوفى الخليفة أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) كان يقول ويدعو الله (عز وجل): (اللَّهُمَّ توفني مسلمًا، وألحقني بالصالحين). وهذا آخر كلامه في الدنيا (عليه رحمة الله).